جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

اللغة العربية/ دكتوراه لغة

المادة مناهج لغوية حديثة

عنوان المحاضرة :**وظائف اللغة عند جاكبسون**

التدرسي: أ. د. قاسم خليل إبراهيم

العام الدراسي : ٢٠٢٥ -٢٠٢٦

نظرة جاكبسون إلى اللغة ووظائفها:

تُعد اللغة نظاماً رمزياً معقداً ؛ لأنها تعتمد على مجموعة من القواعد قصد التواصل والتعبير عن الأفكار وتبادل المعلومات، فضلاً عن أنها تقدم رؤى دقيقة حول طبيعة التفكير البشري، وتوصف بأنها جوهر البحث والتحليل في الدراسات اللسانية القديمة والحديثة؛ لأنها تدرس من زاوية مختلفة، وأنها لا تعد وسيلة للتعبير والتواصل بل تشكل جوهر التفاعل الاجتماعي الذي يمكن الفرد من التواصل والتفاعل مع أبناء مجتمعه في حياتهم، وأنها تحمل في طياتها القيم والعادات المتعلقة بالثقافات لتنمية هويتهم، فاللغة إذن تستخدم أداة للتفاعل الاجتماعي والثقافي، إلى جانب تسجيل المعارف الإنسانية.

تُعد نظرية التواصل اللغوي التي قدمها رومان جاكبسون من النظريات اللسانية التي أحدثت نقلة نوعية في الدراسات اللسانية في العصر الحديث، لأنها قدمت إطارا تحليليا شاملاً لفهم وظائف اللغة ودورها في عملية التواصل البشري، فضلاً عن أنه وضع أنموذجًا متكاملاً يبرز فيه الأبعاد المختلفة للغة ودورها في التواصل الاجتماعي والثقافي، ولا سيما في كيفية استخدامها للتعبير عن المشاعر، نقل المعلومات، التأثير في الآخرين والحفاظ على التفاعل الاجتماعي، مما جعل نظريته حجر الزاوية في الدراسات اللغوية والتواصلية.

نلحظ أن أفكار فردينان دي سوسير اللسانية الكامنة في بيان مكانة اللغة ودورها في وقائع اللسان تشير إلى البنية الكلية للغة التي تتوقف على الفعل الفردي الذي يساعد على إعادة بناء دورة الكلام، وهذا الفعل يفترض وجود شخصين على الأقل, إلى جانب العلامة اللغوية الكامنة بين الدال والمدلول، وتميزه بين اللغة والكلام فضلاً عن دراسته للغة بوصفها نظاماً قائماً على العلاقات الداخلية بين العناصر اللسانية،

فكل ذلك أثر بشكل كبير في أعمال رومان جاكوبسن التواصلية القائمة على عناصر خطابية، فدي سوسير لم يتكلم عن التواصل، وإنما تحدث عن حلقة الكلام.

ويبدو أن الإرهاصات الأولى لنظرية التواصل ظهرت عند دي سوسير، ومن ثم جاء الباحث الألماني كارل بوهلر (ت ١٩٦٣م)، الذي طور أنموذج دي سوسير عن طريق اقتراح أنموذج ثلاثي الوظائف للتواصل اللغوي في كتابه (نظرية اللغة) والذي تكلم على وظائف اللغة في الثقافة الغربية سنة ١٩١٨م، فذكر ثلاثة محاور تقوم عليها العملية التخاطبية ألا وهي: الوظيفة التعبيرية، والوظيفة الندائية والوظيفة التمثيلية، وهذه الوظائف تقف عند حدود المتكلم والمستمع والرسالة.

أما العالم اللغوي الروسي رومان جاكبسون الذي أسهم في تأسيس حلقة براغ اللغوية التي استمرت في نشاطها حتى عام ١٩٣٩م، فقد وقع اهتمامه أولاً على العناصر التواصلية، وتبعها إضافة الوظائف التواصلية؛ إذ قام بتطوير التصنيف الوظيفي للغة الذي جاء به بوهلر من خلال إضافة وظائف أخرى كامنة في الوظيفة الشعرية والوظيفة الانتباهية والوظيفة الميتالغوية معتبراً أن الكلام الذي يبعثه المرسل إلى المتلقي بواسطة قناة الاتصال له وظائف لغوية يمكن حصرها في ست وظائف يقوم كل منها على التركيز على أحد عوامل التواصل, الكامنة في المرسل المرسل إليه المرجع السنن القناة الرسالة، و تتأتى كل منها من طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وبينه وبين العالم المحيط به، مما يتيح الحصول على فئات دلالية متنوعة.

وقد ذكر جاكبسون في كتابه القضايا الشعرية – أي أنه تجاوز الإتجاه البنيوي نحو الوظيفي – إن اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها ... ولكي تقدم فكرة عن هذه الوظائف من الضروري تقديم صورة مختصرة من العوامل المكونة لكل سيرورة السانية ولكل فعل تواصلي لفظي. إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقاً تحيل عليه وهو ما

يدعى أيضاً المرجع باصطلاح غامض نسبياً، سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك؛ وتقتضي الرسالة بعد ذلك، سنناً مشتركاً، كليا أو جزئياً، بين المرسل والرسل إليه.... وتقتضي الرسالة أخيراً اتصالاً، أي قناة فيزيقية وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، اتصالاً يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه.

إذن أسس نظريته التواصلية الشهيرة على فكرة أن كل حدث لغوي يتكون من مجموعة من العناصر المتكاملة، وهذه العناصر تتولد منها ست وظائف كل وظيفة من هذه الوظائف تتعلق بعنصر من عناصر التواصل، ومن هذه الوظائف:

١) الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية ـــــــ المرسل

هي الوظيفة التي ترمي إلى التعبير بصورة مباشرة عن المشاعر والحالات العاطفية والانفعالية قصد تحديد العلاقة بين المرسل والرسالة، وهذه الرسالة تكشف عن حاله وتدل على طابع مرسلها، وتنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو كاذب، أي أنها وظيفة تنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلاً، أو في أدوات لغوية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب، أو دعوات الثّلب، أو صيحات الاستنفار، وتنقسم الانفعالات من هذه الزاوية إلى التعبير الانفعالي الخالص عما يختلج في الذات التي كانت مصدراً للخطاب المرسل، وأخرى تجاوزت النقل المباشر للأحداث التي يبدي المرسل تجاهها موقفاً مميزاً يجعل الخطاب المنجز ملكاً له.

وقد وضع جاكبسون محورين تقوم بهما الوظيفة التواصلية، أحدهما: استعمال أدوات دالة على التكلم، مثل: أنا، أو تاء المتكلم، أو استعمال صيغة التعجب الدالة

على مظهر انفعالي للمتكلم، والآخر: عدم اختزال هذه الوظيفة في مظهرها الإخباري بل يجب النظر إلى العناصر غير اللسانية.

نلحظ أن هدف المرسل في هذه الوظيفة هو نقل مشاعره وبيان حالته النفسية، فحينما نقول مثلاً: (ياله من يوم جميل، يفصح المرسل عن الفرح والسعادة، وبهذا يستطيع المرسل إليه من استقبال رسالته واستشعاره بحاله إلى جانب التأثير فيه.

٢) الوظيفة الإفهامية أو التأثيرية أو الأمرية أو الندائية أو الإيعازية ـــــــــــ المرسل إليه.

إن الوظيفة التأثيرية هي الوظيفة التي توجه نحو المرسل إليه للتأثير فيه، ويجد التوجه نحو المرسل إليه. تعبيره النحوي الأكثر خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان من جهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب، عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى. وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية: فالجمل الخبرية يمكن أن تخضع لاختبار الصدق، ولا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك نستدرك مما سبق أن اللغة أو الصيغة التي تستخدم في هذه الوظيفة هي الأمر والنهي والنصح والإرشاد والتوجيه والاستفهام بهدف التأثير المباشر في المتلقي فضلاً عن بيان ردود الفعل المرسل إليه النفسية.

إذن هذه الوظيفة ترمي إلى تحديد العلاقات بين الرسالة والمستقبل؛ ذلك أن هدف التواصل إنما يكمن مبدئياً في حفز ردود فعل المتلقي ذاته وأثرها فيه، إننا نوجه كلاماً محدداً إلى إنسان ما، مرسل أو مستقبل، فنحن نتقصد طلب ومعرفة شيء من قبله، سواء أكان ذلك تصريحاً أم لا.

نلحظ أن جاكبسون استبدل تسمية الوظيفة الندائية عند بوهلر بالوظيفة الأمرية؛ لأنه ربط مصطلح الأمر بمفهوم (الاتجاه) نحو المستقبل، ... ومن هنا فإن الوظيفة

الأمرية مرتبطة ارتباطاً شديداً بما نطلق عليه شيوعاً اسم (وظيفة اللسان الأداتية) أي: استخدام اللسان كعامل تأثيري.

٣) الوظيفة الشعرية (الجمالية) ـــــــــــــــ الرسالة

تتميز هذه الوظيفة بالتركيز على الجانب الجمالي للغة نفسها التي تتمحور حول الرسالة، إذ يقول جاكوبسن إن استهداف الرسالة بوصفها رسالة، والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة... وليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة، ومن ثم فإن الدراسة الألسنية للوظيفة الشعرية يجب أن تتعدى نطاق الشعر، كما أن التحليل الألسني يجب ألا يتوقف عند الوظيفة الشعرية.

٤) الوظيفة المرجعية التعيينية أو التعريفية ـــــــــــ السياق

ترتبط هذه الوظيفة بالموقف أو السياق الخارجي الذي تتحدث عنه الرسالة إلى جانب ارتباطها بعملية نقل الأحداث والتعبير عن الحقائق والآراء بواسطة اللغة، وقد أطلقت عليها الوظيفة المعرفية والسياقية، والوظيفة التعيينية والتعريفية والموضعية، وأن هذه الوظيفة هي أساس كل تواصل؛ لأنها تستكشف العلائق القائمة بين الرسالة وموضوع ترجع إليه، إذن إن المسألة الأساسية تكمن في صياغة موضوعية المعلومات صحيحة عن المرجع، يمكن ملاحظتها والتدقيق في صحتها، فضلاً عن أنها تركز على العلاقة الكامنة بين الكلمات والأشياء الموجودة في العالم الخارجي، مما يجعل اللغة أداة لتمثيل الواقع؛ لأنها تحيلنا على أشياء وموجودات التحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة.

٥) الوظيفة الانتباهية أو الإبلاغية ـــــــــــــ القناة

تمثل الوظيفة الانتباهية إحدى العناصر الأساسية في العملية التواصلية، التي تهدف إلى إبراز دور اللغة في إقامة الاتصـــال بين المتكلم والمتلقي، بعيداً عن الوظيفة التعبيرية التي تعبر عن مشاعر المتكلم وانفعالاته وعن الشعرية والإخبارية.

وقد أطلقت مصطلح إقامة الاتصال على هذه الوظيفة الذي أوجده مالينوفسكي للدلالة على أهمية اللســان الذي يقوي ويشــد وشــائج الصــلة بين الناس عبر تبادل الكلمات البسيطة دون أن تكون النية منه تبادل الأفكار.

تعد هذه الوظيفة بمثابة الجســر الذي يتيح نقل الرســالة اللغوية وإرســالها من المتكلم إلى المتلقي عبر قنوات الاتصال السمعية أو البصرية أو غيرها، وهذا مانص عليه جاكبسون في كتابه القضـايا الشـعرية "هناك رسـائل توظف في الجوهر الإقامة التواصـــل وتمديده أو فهمه، وتوظف للتأكد إذا كانت دورة الكلام تشـــتغل (الو، اتســـمعني؟)، وتوظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ (قل، أتسمعني .... استمع إلي).

٦) الوظيفة الميتالغوية (ماوراء اللغة) ـــــــــــــ الشفرة

الوظيفة الميتالسانية كما سماها جاكوبسن تشير إلى وصف اللغة نفسها، والتركيز على تفسير مفرداتها، لهذا جرى تمييز بين مستويين للغة في المنطق المعاصر، بين اللغة – الموضـوع المتحدثة عن الأشـياء، واللغة الواصـفة المتحدثة عن اللغة نفسـها، إلا أن اللغة الواصـــفة ليســـت أداة علمية ضـــرورية في خدمة المناطقة واللســـانيين فحســـب، فهي تلعب أيضـــاً دوراً مهماً في اللغة اليومية, وقد ســـميت هذه الوظيفة بتسميات مختلفة، منها: الوظيفة المعجمية، ماوراء اللغة، التعريفية، اللسانية الواصفة وظيفة تعدي اللغة.

يكمن مدار هذه الوظيفة في أنّ يتأكد أحد طرفي جهاز التخاطب من أنه يســـتعمل والطرف الآخر نفس النمط اللغوي, ومن ثمّ فإن التخاطب قائم فعلاً على التفاهم المتواصـــل , كأن يتخلل الحوار مثل هذه العبارات (ماذا نعني؟ .... هل أنت تفهم عني ما أقول؟.... أليس كذلك, إذن هذه الوظيفة تعكس قدرة اللغة وتمكنها من توضيح نفسها وتحليلها.